الهادي ومحمد عزة دروزة ، قد جرى اعتقالهما ، فيما لم يتعرض الاخرون الى اعتقال او مضايقة تصل الى حد الشلل الكلي ، ويدل على ذلك انه تم اعتقال ٦١ مناضلا عربيا من المسؤولين عن تنظيم الاضراب (الكادر الوسط) ، وذلك في ٢٣ ايار، الا ان هذا الاعتقال لم يمنع بريطانيا من منح تأشيرة سفر الى اربعة من زعماء الثورة ، هم جمال الحسيني وشبلي الجمل وعبد اللطيف صلاح والدكتور عزت طنوس للسفر الى لندن ومقابلة وزير المستعمرات وذلك في ١٢ حزيران . ومثل هذا الحادث الذي سيتكرر باطراد طيلة الاشهر والسنوات التالية ليس غريبا ، فقد كان المندوب السامي البريطاني يلاحظ بارتياح شديد ان « خطب يوم الجمعة قد اقترنت بدرجة من الاعتدال تفوق بكثير ما كنت اتوقعه ، في وقت بلغت فيه حدة المشاعر عمقا كبيرا ، والفضل في ذلك يعود بالدرجة الاولى الى المفتي»(٧٥).

لقد تبلور الموقف منذ البدء بان اعتبرت قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية الثورة الجماهيرية مجرد ضاغط يهدف الى تحسين اوضاعها كطبقة لدى الاستعمار البريطاني ، وقد ادرك البريطانيون هذا الواقع ادراكا عميقا وتصرفوا وفقه ، ولكنهم مع ذلك لم يكلفوا انفسهم عناء منح تلك الطبقة الامتيازات التي كانت تطمح لها ، فقد كانت لندن مصرة على تلبية التزاماتها ازاء تسليم الارث الاستعماري في فلسطين للحركة الصهيونية ،وعلى العكس تماما ، فان سنوات الثورة ٣٦ ــ ٣٩ كانت السنوات التي رمى الاستعمار البريطاني بثقله ، خلالها ، لانجاز مهمة تصليب الوجود الصهيوني وايقافه على قدميه كما سنرى فيما بعد . وقد نجح البريطانيون في تحقيق ذلك من خلال وسيلتين : الاولى هي ضرب فقراء الفلاحين الثائرين بعنف لا مثيل له ، والثانية استخدام نفوذهم الواسع لدى الانظمة العربية ، التي لعبت دورا كبيرا في تصفية الثورة : **من الجهة الاولى** لعب قانون الطوارىء البريطاني دوره بفعالية ، ويورد السفري مجموعة احكام صدرت آنذاك للتدليل على عسف هذا القانون : « ست سنوات حبس لحيازة مسدس ــ ١٢ سنة لحيازة قنبلة ــ خمس سنوات مع الاشغال الشاقة لحيازة ١٢ رصاصة ــ ٨ اشهر بتهمة تضليل فريق من الجند من الطريق ــ تسع سنوات بتهمة حيازة مفرقعات ــ ٥ سنوات لمحاولة شراء ذخيرة من الجنود ــ اسبوعان حبس لحيازة عصا»... الخ(٧٦). ووفق تقدير بريطاني قدم الى عصبة الامم فان عددالقتلى العرب خلال ثورة ١٩٣٦ يبلغ حوالي الالف، هذا عدا عن الجرحى والمفقودين والمعتقلين .واستخدم البريطانيون سياسة نسف البيوت على نطاق واسع ، فبالاضافة الى عملية نسف وهدم جزء من مدينة يافا (١٨ حزيران ١٩٣٦) ويقدر عدد البيوت التي نسفت فيها بـ ٢٢٠ وعدد الذين شردوا نتيجة النسف بـ ٦ الاف نسمة ، نقول ، بالاضافة الى ذلك جرى هدم مئة تخشيبة في الجبالية و ٣٠٠ في ابو كبير و ٣٥٠ في الشيخ مراد و ٧٥ في عرب الداودي ، ومن الواضح ان مسكان الاحياء التي هدمت في يافا ، والتخشيبات في ضواحيها هم من فقراء الفلاحين الذين هجروا الريف الى المدن ، اما في القرى فقد عدد السفري حوالي ١٤٣ بيتا جرى نسفها لاسباب تتعلق مباشرة بالثورة (٧٧). وهذه البيوت تخص فقراء الفلاحين وبعض الفلاحين المتوسطين وعددا يسيرا جدا من العائلات الاقطاعية . **ومن الجهة الثانية:** بدأ الامير عبدالله امير شرق الاردن ، ونوري السعيد ، نشاطهما للتوسط لدى الهيئة العربية العليا ، الا ان هذه الوساطات لم تفلح بالرغم من استعداد الزعامات لتلبيتها ، ولكن الحركة الجماهيرية كانت حتى ذلك الوقت (آب ١٩٣٦) غير قابلة للتدجين بعد ، على ان هذه الاتصالات اثرت تأثيرا سلبيا على الثورة ، وتركت في الجو شعورا بان التناقض القائم هو تناقض قابل للتسوية ، وبالفعل فان هذه البداية التي بدت فاشلة ستحقق نجاحا كاملا في تشرين الاول من العام نفسه ، اي بعد حوالي ستة اسابيع فقط ! على ان هذه الصلات لم تكن الشكل الوحيد لجدلية العلاقات بين فلسطين والبلدان العربية المجاورة ، فقد كانت هذه الجدلية اكثر تعقيدا ، وتعكس مجمل التناقضات المركبة ، وكنا قد لاحظنا ما مثله القسام في هذا المجال ، والواقع ان الظاهرة القسامية بهذا المعنى استمرتبالحدوث ، فقد تدفق الى فلسطين عدد كبير من المناضلين العرب مثل سعيد العاص (الذي استشهد في تشرين الاول ١٩٣٦) والشيخ محمد الاشمر وغيرهما الكثير ، على ان التدفق هذا شمل ايضا عددا من الضباط الوطنيين المغامرين ، وابرزهؤلاء